

المحاضرة 05

مرحلة المنهجية العلمية وطرق البحث في العلوم الاجتماعية

مراحل تطور منهجية البحث في التربية المقارنة:

المرحلة الثالثة: (مرحلة المنهجية العلمية)

مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة بعد عام 1950، بدأ التجريب والإحصاء والمعادلات الرياضية المستخدمة في العلوم الطبيعية والبيولوجية والرياضيات في الدخول إلى العلوم الاجتماعية، ويرجع ذلك إلى التطور العلمي والتكنولوجي الحادث في العصر الحديث ولم يظهر المنهج العلمي في الدراسات المقارنة فجأة بل كانت هناك إشارات متفرقة في كتابات القرن التاسع عشر عن احتمال قيام علم منظم للسياسات والنظم التعليمية، وإلى أهمية فرض الفروض واختبار صحتها، وإلى جدولة الملاحظات المنظمة والدقيقة المستخدمة في جمعها الاستفتاءات أحياناً بطريقة تسمح بمقارنتها واستخلاص مبادئ وقواعد محددة لتلك النظم والسياسات التعليمية.

وقد اتسمت هذه المرحلة بعدة سمات منها: الإدراك المتزايد لأهمية وضع الفروض في البحوث التربوية، وفي الاختيار الدقيق للحالات، وفي توجيه العناية لوضع المواصفات للتغيرات، ثم البحث عن تفسير اتكيفية للعلاقات بينها، وأخيراً الانتقال من مرحلة الوصف وحب الاستطلاع والجمع غير المقصود عن النظم التعليمية إلى مرحلة الجمع المنظم الذي يمكن الاستفادة منه في

نظام التعليم والانتقال من اتجاهه نحو فهم طبيعة أنظمة التعليم إلى الاهتمام بما يحدد علاقات إنسانية بين الدول بهدف التفاعل المتبادل

وعملاً بمبدأ العلم متحد بمنهجها بموضوعه، فإن التربية المقارنة لم تقف عند حد

الوصف والتفسير والتحليل النظري، بل اتجهت إلى الدراسات الإمبريقية التجريبية المستخدمة في ذلك

أدواتها ووسائلها الفعالة وهيمداء خلواً سبيلها مناهج العلماء المستخدمة في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة.

بناءً على ما سبق، فإن المرحلة الجديدة في التربية المقارنة تسمى **المرحلة المنهجية العلمية**

والتي تتميز بدراسة التربية المقارنة على أساس منهج علمي واستخدام الأسلوب العلمي ومداخله المتعددة في التربية المقارنة

ولعل أبرز رواد هذه الفترة:

- جرورج بيرداي GEORGE BEREDAY

يتلخص منهج بيرداي في دراسة النظم التعليمية دراسة مسحية تحليلية في إطارين

اثنين:

الأول: (الدراسة المجالية أو المنطقية) ويقصد بها دراسة منطقة صغيرة ببلد واحد وقد تتسعلت شمل مقارنة بأكملها إذا كانت لديها خصائص مشتركة وذلك كفي إطار المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والسياسية، وهذا النوع من الدراسة يعتبر من المتطلبات الأولية للتياغنى عنها للدراسة التحليلية المقارنة، ومهمتها تدريب أعداد الباحثين في التربية المقارنة من خلال قيامهم بأنشطة متعددة منها جمعوا اختيار المعلومات، والتسجيل للأول للانطباعات، وتنمية الإحساس بطبيعة "الاختلافات الثقافية"، وهذا يتطلب بالطبع إلمام الباحث بلغة المنطقة تحت الدراسة، والإقامة بالخارج، والقدرة على الملاحظة التيا لتتوقف، والبعد عن التحيز أو التعصب. وهذا للدراسات اللامجالية أو المنطقية تسير طبقاً لأسلوب بيرد ايا المنهجي فيخطوتين هما:

1- الوصف DESCRIPTION وهي عملية تتم لرصد الواقع التعليمي في دولة واحدة أو

أكثر وهي الخطوة الأولى في أي عمل مقارنة من وجهة نظر بيرد ايا، وهي عملية تتطلب القراءة الواسعة في جميع المصادر المتعلقة بالنظام والنظم التعليمية موضع الدراسة، ثم زيارة المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة، مع تحري الدقة من جانب الباحث في عدم الاكتفاء بزيارة المدارس كعينة ممثلة لجميع أنواع المدارس والمؤسسات التعليمية وعلى اختلاف مستوياتها وبطريقة متأنية، كما أنهذا يتطلب من الباحث تسجيل كل ما يشاهده

بطريقة موضوعية وباستخدام أدوات التسجيل والتوثيق السليمة وهذا يقتضي الخبرة والدراية الواسعة من الباحث في مجال تحديد وضع المعايير و إصدار الأحكام والوصف إذا تم بهذه الطريقة الدقيقة في رأي بيرد ايا يقود إلى فروض معينة أو تعميمات مؤقتة وغير نهائية

2- التفسير INTERPRETATION: ويعني بيرد ايا بهذا الخطوة تقييم المادة التربوية للدولة

أول عدة دول وموضع الدراسة من حيث القو والثقافية المؤثرة وخاصة القو بالتاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والفلسفية وبقية العواما المتصلة بالخلفية الثقافية لبيئة النظام التعليمي، لان مجرد الوصف في نظر بيرد ايا يؤدي إلى العلم بمقارن لان الوصف قد يؤدي بالفرد أحياناً إلى السرعة القفز إلى النتيجة دون تفكير كاف لهذا فإنهم من الضروري في ضوء ذلك الاستعانة بالعلوم الأخرى ذات التداخل والتأثير على التربية للمساهمة في التفسير وبيان لماذا يوجد نظام تعليمي معين بالكيفية التي عليها الآن

الثاني (الدراسات المقارنة) COMPAEISON STUDIES:

تتعلق بعدة دولاً ومناطق ففي نفس الوقت، وهياستكمال للخطوتين السابقتين في الدراساتاتالمجالية، ايمرحلة الوصفأوكمايسمها بيرداي " جغرافية التعليم " وتعتمد على جمع معلومات تربوية خالصة، ثممرحلة التفسير والإجابة علىالسؤالالخاص بفلسفة الحياة فيمنطقة بعينها منحيثجوانها السياسية والتاريخية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية... الخ. ومنثمضي فيبيردايخطوتينأخرتينفيحالةدراسة أكثرمنبلدينأومنطقتين هما:

3- الموازنة والمناظرة JUSCTAPOSITION

الهدفمنهذهالخطوة هو توضيحأوجهالتشابهوالاختلافبينالمادة العلمية التي جمعتمعندولالمقارنة، وقدسبقأمرتعبيرمرحلتيا لوصفوالتفسيرالسابقتين، ولتنفيذهذهالخطوة لا بدمن وضعمعاييرأومحكاتبتمفيضوئها عملهمذهالموازناتوالمناظراتبيندولالمقارنة ومعظهورالمادة العلمية الواضحة فيجداولها الرأسية أو الأفقية، وفيضوءهذهالمعايير وفيضوءالفروضالأولية والتعميمات المبدئية التي توصلإليها الباحثفياالخطوة الأولى (الوصف) فإنهميتمكنالوصولإليهذهالخطوة الثالثة إلى فروضعلمية وأساسية يتمفيضوئها التحليلاً والمقارنة الأولية كمايسمها بيرداي. وعلمهذالأساسستبدوالمناظرة ببساطة عملية ترتيبالمادة العلمية واعدادها للمقارنة وبهذانضعأساسواسعلمالمقارنة كالمقارنة بيندولتينليسبتينهما عناصروقو وثقافية مشتركة وانما يشتركانفيعضالجوانبالعامة، أيمقابلة عناصرنظاميتعليميينأومشكلتينتعليميتينوالعواملالمؤثرة فيهما عنطريقو ضبععضهما بجواربعضبغية تحديدنقاطالتشابه والاختلافبينهما استنادإلىالمعاييرأومؤشراتمعينة للمقارنة

4- المقارنة:

وهذهالخطوة تبدأفياالتحققمنمدىواقعية وعلمية الفروضالتيتماشتقاقها ولاتفاق علميا فيمرحلتيا لوصفالموازناتوالمناظراتو الوصولإلىالتحقيقالأهدافالمرجوة منالبحث والتحليلالمقارن، وذلكمنخلالالتقابلبينالمادة العلمية المطروحة فيالدولالمقارنة وتنقسمهذهالخطوة إلىمرحلتينمتكاملتين وهما:

المقارنة المطردة: وهي عملية الانتقال من دولة لأخر فيجانبمنجوانالمقارنة ثم

العودة مرة أخرى لنتناولجانبا آخر، خاصة فيالجوانب التي يمكنجدولتها مثلالإحصاءات.

المقارنة التصريحية: وتعتمد على عقد المقارنة بشكل عشوائي خاصة عند ما يصعب إجراء

المقارنة المطردة، ويمكن عقد مقارنات مطردة كلما سمحت المادة العلمية بذلك.

وبفضل استخدام الطريقة المطردة في المقارنة لأنها تؤدي في النهاية إلى نتائج عامة،

والوصول إلى حلول بديلة مشتقة من الحلول المطروحة علم مستو بالدول المختلفة وفي ضوء

الإمكانات المتاحة للمخططين ووضع السياسات التربوية.

ويمثل (بيريداي) باتباعهم هذا المنهج حسراير بطينفرتين منفرتا لتطور في التربية المقارنة، فترة القوى

والعوامل التي أكدت تفهما أهمية تفسير المعلومات في ضوء القوى والعوامل

التاريخية والثقافية، وفترة المنهجية العلمية التي تهتم بالبحث عن اتجاهات علمية تجريبية للدراسات

التربوية المقارنة، ويرى أن دراسات التربية المقارنة يجب أن يتناولها لدراسة الأمور هي:

1- معرفة لغة المنطق التي يدرسونها، ويمكننا الاستعانة عند ذلك بترجمة أو كتابة ترجمة.

2- الإقامة في المنطقة موضوع الدراسة وربما يمكننا الاستعانة عند ذلك بكتابات أو مواد مكتوبة.

3- الملاحظة المستمرة للنظام حتى يمكننا التحكم في التمييز الثقافي، أي أن الباحث لا بد أن

يتسم بالحياد والموضوعية في ملاحظاته

- مساهمة بريان هولمز بالمنهجية BRIAN HOLMES

قدم هولمز من وجهة النظرية المقارنة للدراسة في (التربية المقارنة)، ويرى أن هناك

ضعفا في مناهج الاستعارة الثقافية من النظم الأخرى يؤمن بأن المنهج التاريخي وانكنا تله

قيمة في تفسير الظواهر إلا أن قيمتهم محدودة في التنبؤ، ويعتقد أن العلم والفلسفة يرتبطان ارتباطا وثيقا حيث أنهما

يستهدفان للتوصل إلى القوانين التي تفسر الظواهر واكتشاف القوانين المتحكم في البيئة الاجتماعية والأساس النظري

الذي يبني عليه المدخل للمشكلة في الدراسات التربوية المقارنة هو أسلوب البحث العلمي وطريقة حل

المشكلة أو التفسير التأملي كما يحدثنا عن الفيلسوف التربوي جون ديوي،

فالمشكلة عند جون ديوي هي موقف مهم

مثير والحل عند هو وضوح الموقف وإزالة الحيرة، ويتضمن هذا التفكير عددا من العمليات العقلية التي

اعتمد عليها جون ديوي والخاصة بطريقة التحليل النقدي في حل المشكلات وأوجه المواقف المحيرة أو

الغامضة ويتضمن هذا التحليل ما يلي:

- إدراك الموقف المحير أو تحديد المشكلة.

- فرض الفروض والحلول المقترحة.

- تعقلا المشكلة أو تحليلها.

- تحليل وتحديد المحتوى.

- الاستنتاج المنطقي من الفروض السابقة لأقربها واقعية وعلمية.
- التحقق العملي من صدق الفرض.
- ويتضح من خطوات التفكير العلمي والتأمل ما يمكننا تسميته بالتفكير الافتراضياً أن هو لمز يؤكد على عنصرين أساسيين لحل المشكلة علمياً هما:
- أنهما الضروري والتعرف على المشكلة وتحديد هادقة وتحليلها واكتشاف العوامل المؤثرة فيها وذلك بتجميع المعطيات والبيانات ثم فرزها وأبعاد الثانوية وتركها هو أساسيوها ملتصحة المشكلة بأبعادها والمؤثرات الهامة
- ة فيما عنقيا سصدق الفرضية هو القدرة على التنبؤ بنتائج يمكن
- مشاهدتها فعلياً، فالفرضية تكون صادقة عندما تفسر الظاهرة أو تحل المشكلة ويمكننا مشاهدة النتائج المتوقعة منها، وأن هذا النتائج تتفق بالفعل
- مع النتائج المستنبطة من الفرضية.
- ووفقاً لهذا الأسس ينبغي أن ندخل المشكلة يتطلب أن تدراسة التربوية المقارنة بعدد
- من المراحل وأخطوات تمثل كل واحد بعض خطوات التفكير العلمي ويخلصها هو لمز كما يلي:
- اختيار المشكلة وتحليلها.
- صياغة الفرضيات ومقترحات السياسة.
- تحديد العوامل لذات العلاقة
- التنبؤ بنتائج السياسات.
- و مما سبق نستطيع القول أن مرحلة المنهجية هي مرحلة مهمة وحاسمة في
- تاريخ علم التربية المقارنة، لأنها بفضلها تزايد الإدراك بأهمية وضع الفروض في البحوث التربوية
- وفي الاختيار الدقيق للحالات، وفي توجيه العناية بوضع المواصفات للمتغيرات التي تشارك في البحث
- تفسيرات كمية للعلاقات بينها، وأخيراً الانتقال من مرحلة الوصف وحسب الاستطلاع والجمع غير
- المقصود عن النظام التعليمية إلى المرحلة الجماعية المنظمة الذي يمكننا الاستفادة من في نظام التعليم والانتقال من اتجاه
- نحو فهم طبيعة أنظمة التعليم بالاهتمام بما ييجاد علاقات إنسانية بين الدول بهدف التفاعل المتبادل